

ألفى ووجد لا ترادف

باسم البسومي

كلية رام الله التربوية

ألفى:

مادة (لفى) لم ترد في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع فقط وباشتقاق وحيد هو (ألفى)، وعند الرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد أنها تجعل (وجد) المعنى الأول لهذه اللفظة، ولكن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن هناك تمايزاً في استخدام هذين اللفظين (وجد، ألفى)، وتكاد تحس بهذا التمايز عند تتبع سياق الآيات التي جاءت فيها هذه الألفاظ.
قال تعالى:

١. ((وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ)) يوسف: ٢٥

٢. ((إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ)) الصافات: ٦٩

٣. ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)) البقرة: ١٧٠

في قصة يوسف، عليه السلام، تحس بظلال المفاجأة والمصادفة التي أحاطت بتلك المواجهة بين العزيز وامراته عند الباب. يقول الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير:
"الإلفاء: وجدان الشيء على حالة خاصة من غير سعي لوجدانه فالأكثر أن يكون مفاجئاً أو حاصلًا عن جهل بأول حصوله".

والأخذ عن الآباء، كثيراً ما يكون من غير قصد ولا تحقق بل هو مصادفة الأبناء لفعل الآباء والأسلاف وتقليدهم واتباعهم لهم دون تكلف وتصنع ودون نظر واستدلال، وهذا ما يمكن تسميته بالتقليد الأعمى ولذلك كانت خاتمة آية البقرة: ((أُولَئِكَ كَانَ عَلَيْهِمْ لَآ يَعْظَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ))، أما الآية ١٧١ من السورة نفسها فتعزز هذا الفهم حيث جاء فيها: ((وَمَثَلُ الَّذِينَ

كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ... صُمٌّ بكمٌ عمى فهم لا يعقلون)).

أما آية الشعراء، فهي تفصح بشكل جلي عن هذا المعنى وهو الاتباع والتقليد النابع عن غير تعقل وتدبر بل هي الغوغائية والانجرار تفسرها وتلقي بظلال معانيها عبارة ((فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ مُهْرَعُونَ)).

وجد:

إذا كانت (ألفى) فيها من المفاجأة والمصادفة فإن (وجد) فيها من المعاني ما يفيد التحقق والتقصي والبحث، بالإضافة إلى معان كثيرة ذكرتها معاجم اللغة، وقد ذكر الراغب في معجمه أنّ الوجود يكون على عدة أضرب كالوجود بإحدى الحواس مثل وجد طعمه كذا أو وجد لونه كذا ووجود بالعقل ... الخ.

((فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)) التوبة: ٥

((قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ)) يوسف: ٩٤

((فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا)) الأعراف: ٤٤

((إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا)) ص: ٤٤

((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً)) المائدة: ٨٢

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا)) لقمان: ٢١

إن المدقق في الآيات السابقة يجد أنّ (وجد) تتضمن في معناها التحقق ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا))، ((فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا)). وإذا جاز لنا أن نسأل فإنّ أول ما نسأل عنه هنا هو دلالة استخدام (وجد) في آية لقمان بدل استخدام ألفى، في حين أنّ القرآن قد استخدم (ألفى) في آية البقرة المشابهة لها في السرد.

والذي نراه هنا أنّ آية لقمان لا تتحدث عن التقليد الأعمى وإنما تتحدث عن نوع آخر من الضلال، وهو ادعاء العلم والزعم بالتلقي الواعي، فالكفار في هذه الآية يزعمون أنّ ما وجدوه عند آبائهم أحق بالاتباع، فهاهم يجادلون ويناقشون بغير علم ولا هدى، ولذلك كانت الآية السابقة لهذه الآية: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ)) وجاءت خاتمة آية لقمان لتنبه هؤلاء بأنهم يصرون على الضلال الذي يدعوهم إليه الشيطان ليوقعهم في عذاب

جهنم، وليس الوعي المزعوم. وإذا كانت ألقى عن غير توقع سابق فإن وجد عن رغبة سابقة في الأخذ والاتباع، أي عن وعي بالمسألة وإصرار.